عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ

١ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ،

٢ قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟

٣ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً،

٤ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ،

٥ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»

٦ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[٢٠١].

(٢٠١) رواه مسلم (١٠٠٦).

آيات

- ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٥].
- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩١ - ٩٣].
- ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

الراوي

هو: أبو ذَرٍّ، جُنْدُبُ بنُ جُنادةَ، وقيل: بريرُ بنُ جُندبٍ، الزاهد، الصادق، مِن كبار الصحابة وفضلائهم، كان يتعبَّد قبل مَبعث النبيِّ ﷺ، أسلم بمكةَ في أوَّل الدعوة، وهو رابعُ مَن أسْلَمَ، خرج بعد وفاة أبي بكر ﷺ إلى الشام، فلم يزَلْ بها حتى وَلِيَ عثمانُ ﷺ، فخرج إلى الرَّبَذة، ومات بها سنة (٣٢هـ) وصلَّى عليه عبدُ الله بنُ مسعود ﷺ[١].

خلاصة

اشتكى ناسٌ من فقراء الصحابة للنبيِّ ﷺ أنَّ الأغنياء قد حازوا بصدقاتهم الفضلَ والدرجات العُلى، فأخبرهم ﷺ بأن لهم من الأعمال الصالحة ما يأخذ ثواب الصدقات.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعَيم (٢/ ٥٥٧)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٢٥٢)، «أُسْد الغابة» لابن الأثير (١/ ٢١١).

١ ذهب فقراءُ الصحابة إلى النبيِّ ﷺ يشكون إليه استئثار **الأغنياء أصحاب الأموال** بالأجور والدرجات العالية في الجنة؛ فإنهم يشاركونهم في العبادات البدنية كالصلاة والصيام والجهاد، واختصوا بالعبادات المالية من الصدقات والإنفاق في أوجه البر.

وهذا ليس حسدًا للأغنياء، ولا اعتراضًا على قَدَرِ اللهِ تعالى، وإنما ذهبوا للنبيِّ ﷺ ليجد لهم ما يساوي أجر الصدقات، فيستطيعوا منافسةَ الأغنياءِ في الأعمال الصالحة(٢٠٢).

٢ فأرشدهم النبيُّ ﷺ إلى ما يقوم مقامَ الصَّدَقاتِ ويستحقُّ أجرَها من القُرَبِ والأعمال الصالحة.

٣ فأخبرهم أنَّ الأذكارَ تنزل منزلة الصدقة؛ فالتكبيرُ والتحميد والتسبيح والتهليل - وهو قول: لا إله إلا الله - صدقاتٌ يُؤجر العبدُ عليها، بل هي أحبُّ إلى اللهِ تعالى من الصَّدَقات؛ لقوله ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢٠٣).

٤ كما أنَّ أمرَ النَّاسِ بالمعروف وإرشادَهم إلى الحقِّ صدقةٌ، وكذا نهيهم عن المُنكر صدقة، بل من أرفع القُرُبات؛ إذ قد ميَّز اللهُ تعالى تلك الأُمَّةَ بذلك؛ قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

كما أنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر فرض كِفَايةٍ، وقد يتعيَّن، والتَّسبيحُ والتَّحميد والتَّهليل نوافلُ، ومعلومٌ أنَّ أجرَ الفرض أكثرُ من أجر النَّفل؛ لقوله عزَّ وجلَّ في الحديث القدسي: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»(٢٠٤)(٢٠٥).

والصَّدقة بغير المال نوعان: قُربَةٌ قاصرةٌ على فاعلها؛ كالذكر وأداء النوافل، وقُرْبَةٌ متعدِّية؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدخل فيها نشر العلم وإيصال النفع إلى المسلمين ودفع الأذى عنهم. وهي أفضلُ من النوع الأول لعموم فضلها.

---

(٢٠٢) ينظر: «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٢/ ١٦١).

(٢٠٣) رواه أحمد (٢١٧٠٢)، والترمذيُّ (٣٣٧٧).

(٢٠٤) رواه البخاريُّ (٦٥٠٢).

(٢٠٥) «شرح النوويِّ على مسلم» (٧/ ٩٢).

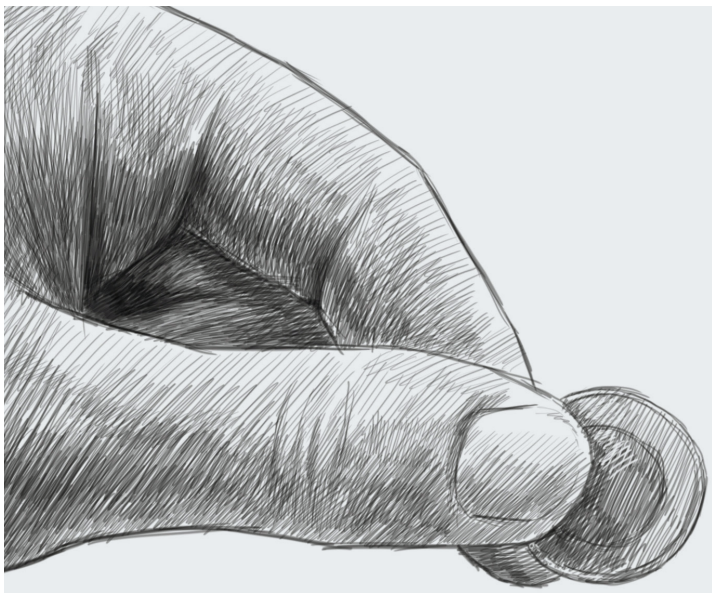

ولا يقتصرُ ذلك على ما ذُكر من الأعمال الصالحة، بل كل ما يفعله المسلم من الطاعات صدقةٌ، وفي الحديث: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»(٢٠٦).

٥ بل إنَّ الرجل **إذا جامع امرأتَه** كان له بذلك صدقة؛ وذلك إذا نوى بذلك إعفافَ نفسه، أو إعفاف زوجته ومعاشرتها بالمعروف، أو طَلَبَ ولدٍ صالحٍ، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة(٢٠٧).

٦ فتعجَّب الصحابةُ ﷺ؛ إذ كيف يأتي المرءُ شهوتَه ويكون له مع ذلك أجرٌ؟! فأخبرهم ﷺ أنَّه كما يكسب الإنسانُ وزرًا إذا وضع شهوته في الحرام، فكذلك يكون له أجرٌ إذا وضعها في حلالٍ.

(٢٠٦) رواه البخاريُّ (٦٠٢١)، ومسلم (١٠٠٥).

(٢٠٧) «شرح النوويِّ على مسلم» (٧/ ٩٢).

اتّباع

١ (١) حرص الصحابة ﷺ على المنافسة في الخيرات، وغبطة إخوانهم بما أصابوا من الطاعات. وهذا هو التنافس الحقيقيُّ الذي لا بد أن يطمح إليه كلُّ مسلمٍ.

٢ (١) الغبطةُ أن يتمنى المسلمُ مثل ما عند أخيه من الخير، وأن يبارك لأخيه فيما عنده، وهي مستحبةٌ في فعل الطاعات، لقوله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».

٣ (٢) من رحمة الله تعالى وعدله أن جعل للفقراء ما يصلون به إلى مرتبة الأغنياء. فليسارعْ كلُّ مسلمٍ في طاعةِ اللهِ سبحانه بحسب ما تيسّر له.

٤ (٣) المداومة على ذكر الله تعالى من أفضل أبواب الخير؛ قال رجل: يا رسولَ الله، إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ، فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به، قال: «لا يَزَالُ لسانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[٢٠٨].

٥ (٣) ما تَلَذَّذَ المتلَذِّذون بِمِثْلِ ذكرِ الله عزَّ وجلَّ؛ فليس شيءٌ من الأعمال أخفَّ مُؤنةً ولا أعظمَ لذَّةً ولا أكثرَ فرحةً وابتهاجًا للقلب من ذكر الله سبحانه[٢٠٩].

٦ (٤) احرص على الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهي مزيَّةٌ اختصَّ اللهُ تعالى بها صفوةَ خَلْقِه، وأثنى على تلك الأُمَّة وجعلها خير الأمم بذلك.

٧ (٤) يدخل في الأمر بالمعروف سائر الطاعات المتعدية من تعليم القرآن والعلوم النافعة، وبذل الخير للنَّاس، وكفُّ الأذى عنهم.

٨ (٥) بالنية الصالحة يُثاب المرءُ على الطَّاعات، فاغتنم ذلك في جميع أمور حياتك؛ فانوِ عند الأكل التَّقَوّي على الطاعات، وعند النَّوْم: أخذَ قسطٍ من الراحة لمواصلة العبادات، وعند ملاطفة الأهل والأولاد: إيفاءَ حقوقهم ومعاشرتهم بالمعروف، وعند المذاكرة: طلبَ العلم لنفع المسلمين، و في العمل: إعلاء شأن المسلمين. وهكذا

(٢٠٨) رواه أحمد (١٨١٦٧)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، والترمذيُّ (٣٣٧٥).

(٢٠٩) («الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم (ص ٨١).

في كل شيءٍ من المباحات تتحول إلى طاعات تُثابُ عليها. قال معاذ بن جبل ﷺ: «أَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي»(٢١٠).

٩ (٦) من عظيم كرم الله تعالى أنَّه يجازي المسلمَ خيرًا على جميع أفعاله المباحة إذا امتنع عن المعاصي؛ فيُجازى على الطعام من الحلال لأنه ترك الحرام، وعلى إتيانِ شهوته في الحلال وتركها في الحرام، وعلى كسب المال من حلالِه دون حرامِه.

١٠ (٦) في الحديث جَوَازُ سؤال المستفتي عن بعض ما يَخفى من الدَّليل إذا عَلِم من حال المسؤول أنَّه لا يَكرَه ذلك، ولم يَكن فيه سُوءُ أَدَبٍ(٢١١).

قال الشاعر:

عَلَيْكَ بِذِكْرِ الله يا طالبَ الأَجْرِ ... وَيا راغِبًا في الخَيْرِ والفَضْلِ والبِرِّ
عليكَ بِهِ تُعطَى الرغائبَ كلَّها ... وتُكفى به كلَّ المُهِمَّات والضُّرِّ
فمَنْ يَذْكُرِ الرحمنَ فهْوَ جَلِيسُهُ ... ومَنْ يَذْكُرِ اللهَ يُكافِئْهُ بالذِّكْرِ
ومَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الإلهِ فإنه ... قَرِينٌ له الشَّيْطَانُ في داخِلِ الصَّدْرِ
ومَن يَنْسَ مَوْلاهُ الكَرِيمَ فَرَبُّهُ ... له ناسيًا، أَعْظِمْ بذلك من خُسْرِ!
له استحوَذَ الشَّيْطَانُ نسَّاهُ ذِكْرَ مَنْ ... تفضَّلَ بالإيجادِ في أوَّلِ الأمرِ

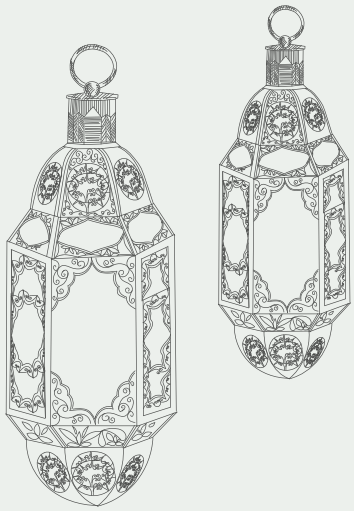

(٢١٠) رواه البخاري (٤٣٤١)، ومسلم (١٧٣٣).
(٢١١) «شرح النوويِّ على مسلم» (٧/ ٩٣).